

فضل الإسلام ومناقبه

(الجزء الخامس من سلسلة الخطب)

لأبي عبد الرحمن

عبد الرقيب بن علي بن أحمد أبو عبد الرحمن الكوكباني

كان الله له في الدارين

بمسجد أم القرى صنعاء

حرسها الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا
إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما
كثيرا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)،
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ
رَقِيبًا﴾^(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣). أما
بعد:

^(١) سورة آل عمران: (١٠٢).

^(٢) سورة النساء: (١).

^(٣) سورة الأحزاب: (٧٠-٧١).

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

معاصر المؤمنين، في مثل هذا الشهر المبارك الذي هو آخر شهور العام الهجري القمري أكمل الله عز وجل لعباده الدين وأتم عليهم نعمته. قال الله عز وجل في كتابه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٤). أتم الله الدين، وأكمل الله النعمة. فمن كان يعيش في مذلة وهو يلتمس العزة في الإسلام العز والرفعة.

روى الحاكم في "المستدرک" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله^(٥).

^(٤) سورة المائدة: (٣).

^(٥) صحيح، أخرجه الحاكم في "المستدرک على الصحيحين" برقم (٢٠٧): عن طارق بن شهاب، قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعها على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا، تخلع خفيك وتضعها على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد

ومن كان يعيش في وحشة وقلة وذلة فعليه أن يلتمس الكثرة المبارك والأنس والقوة في الإسلام الصحيح العتيق. روى البخاري في صحيحه عن أبي برزة نضلة بن عبيد رضي الله عنه وأرضاه أنه قال: إنكم يا معشر العرب، كنتم على الحال الذي علمتم من الذلة والقلة والضلالة، وإن الله أنقذكم بالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حتى بلغ بكم ما ترون^(٦).

نعم أيها المسلمون، وهناك نعمة أيضاً أكملها الله في مثل هذا الوقت على غرار إكمال نعمة الدين والإسلام ألا وهي نعمة الهدي المحمدي، هدي النبي

استشرفوك، فقال عمر: أوه، لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله.

^(٦) أخرجه البخاري (٧١١٢): عن أبي المنهال، قال: لما كان ابن زياد ومروان بالشأم، ووثب ابن الزبير بمكة، ووثب القراء بالبصرة، فانطلقت مع أبي إلى أبي برزة الأسلمي، حتى دخلنا عليه في داره، وهو جالس في ظل عليه له من قصب، فجلسنا إليه، فأنشأ أبي يستطعمه الحديث فقال: يا أبا برزة، ألا ترى ما وقع فيه الناس؟ فأول شيء سمعته تكلم به: إني احتسبت عند الله أني أصبحت ساخطا على أحياء قريش، إنكم يا معشر العرب، كنتم على الحال الذي علمتم من الذلة والقلة والضلالة، وإن الله أنقذكم بالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حتى بلغ بكم ما ترون، وهذه الدنيا التي أفسدت بينكم، إن ذاك الذي بالشأم، والله إن يقاتل إلا على الدنيا، وإن هؤلاء الذين بين أظهركم، والله إن يقاتلون إلا على الدنيا، وإن ذاك الذي بمكة والله إن يقاتل إلا على الدنيا.

صلّى الله عليه وعلى آله وسلم. فأخر أركان الإسلام: الحج. والنبى عليه الصلاة والسلام يقول فى حجة الوداع: «خذوا عني مناسككم». ويقول لهم: «لعلّى لا أحجّ بعد عامي هذا»^(٧).

نعم، وهذه النعمة لا تقلّ أهمية عن نعمة الإسلام، ألا وهي: نعمة هدى النبى عليه الصلاة والسلام وسنته فى العبادات والمعاملات والسلوك والأخلاق وسائر شؤون الحياة. هدى النبى عليه الصلاة والسلام، من رغب عنه لم يكن على طريقة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ففي "الصحيحين" من حديث أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٨).

هدى النبى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هو برهان دعوة العبد أنه يجب الله ويجب الدين. هناك يتلى ويمتحن ويختبر بهدى النبى صلى الله عليه وعلى

^(٧) أخرجه النسائي فى الكبرى برقم (٤٠٠٢).

وأخرجه مسلم فى صحيحه برقم (١٢٩٧) وأحمد فى مسنده (١٤٤١٩) عن جابر رضى الله عنه بلفظ: «لنأخذوا مناسككم، فإنّى لا أدري لعلّى لا أحجّ بعد حجتي هذه».

^(٨) أخرجه البخارى (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).

آله وسلم فيظهر صدقه من كذبه ويظهر صدقه من زيف دعواه أنه يجب الله والدين ويجب الرسول ويجب الشعائر، هنا مفترق الطريق بين أهل الدعوى. نعم أيها المسلمون. ومن تأمل في هذه النعمة مع نعمة الإسلام يجب أن العقب ينسبك في جماله في صدر الرجل، وفي عنق أهل الإسلام. قال بعض السلف رحمهم الله كما في "الطبقات" لابن سعد، وهو أبو العالية: ما أدري أي النعمتين علي أفضل. إذ أنقذني الله من الشر وهداني إلى الإسلام أو نعمة إذ أنقذني من الحرورية^(٩).

أي: لم يجعلني خارجاً عن الشرع المطهر، وعن أوامره، وعن هدي النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ولو تأملت ودققت النظر في السنة والإسلام لرأيت أن هذا هذا، وهذا هذا. نعم ولذلك قال العلامة البرهاري رحمه الله: اعلّموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر^(١٠).

^(٩) صحيح، أخرجه ابن سعد رحمه الله في "الطبقات الكبرى" (٧/ ص ٨١) فقال: أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا سلام بن مسكين قال: حدثنا محمد بن واسع عن أبي العالية الرياحي به.

مسلم بن إبراهيم هو الفراهيدي ثقة.

سلام بن مسكين هو أبو روح الأزدي البصري. ثقة. ("تهذيب التهذيب" / ٤ / ص ٢٨٦).

محمد بن واسع هو أبو بكر ويقال أبو عبد الله البصري، ثقة عابد. ("تهذيب التهذيب" / ٩ / ص ٤٩٩).

^(١٠) "شرح السنة" (للبرهاري/ ص ٣٥).

فالسنة المحمدية وهدى النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو
يمثل في الحقيقة الإسلام الصحي الصافي من شوائب الشرك والبدع وكبائر
المعاصي. نعم، فقد يعصي العبد ربه في صغائر الذنوب ويتبعها بكفاراتها ويغفر الله
لها. نعم.

معاشر المؤمنين اعلموا -بارك الله فيكم- أن من عاش بين الناس منصباً
بهاتين النعمتين: نعمة الإسلام ونعمة هدى النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله
وسلم فقد نال فضل الله كله، نال في الدنيا فضل الله كله. قال الله عز وجل في
كتابه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١١).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "اجتماع الجيوش الإسلامية"^(١٢): وقد
دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته هي الإسلام والسنة. انتهى.

^(١١) سورة يونس: (٥٨).

^(١٢) (٢/ ص ٣٨).

فكيف إذا انضاف إلى ذلك أن يموت العبد على هاتين النعمتين يلقي الله بالإسلام الصحيح وكان سائرا على هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم. والله لقد نال الخير كله.

جاء في الكتاب "الاعتصام" للعلامة الشاطبي يحفظه الله عن أبي بكر المروزي قال: قلت لأبي عبد الله: من مات على الإسلام والسنة، مات على خير؟ فقال: اسكت، بل مات على الخير كله^(١٣).

مات على الخير كله: أن يلقي الله مسلما ليس يهوديا ولا نصرانيا ولا من أي ملة من ملل أهل الكفر ويلقي الله على هدي النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لم يبدل هذه الشريعة ولم يغير ولم يخرج عن الصراط المستقيم.

معاشر المسلمين، في هذه المقام إن شاء الله نستعرض شيئا من مناقب وفضائل وفواضل مميزات دين الإسلام العتيق الذي أكرمنا الله عز وجل به وهو

^(١٣) لم أعثر عليه في "الاعتصام". وقال الإمام الذهبي رحمه الله في "سير أعلام النبلاء" (١١/ ص ٢٩٦): أخبرنا جماعة إجازة، عن ابن الجوزي، أخبرنا ابن ناصر، أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار، أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط، حدثنا ابن أبي الفوارس، حدثنا أحمد بن جعفر بن سلم، أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق، حدثنا المروزي به.

رأس مالنا في الدنيا يلقي الله العبد من الناجين إن لقيه مسلماً الإسلام الصحيح الصافي. نعم أيها المسلمون. هذا الإسلام الذي أخرج الله البشرية من الظلمات إلى النور جاء والناس في تنافر وتناحر وتقاطع وتدابير وتدابيح وتجاوز فنقلهم إلى تناصر وتآزر وتآخي والمودة. جاء وهم في فرقة وشتات فنقلهم إلى الوحدة والاجتماع. جاء وهم في العداا المستأصل الذي مرت عليهم السنون والأعوام وهم بني عم وخال فنقذهم إلى الإخاء والمحبة. فلذلك قال الله في كتابه: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١٤).

أي نعمة هذه؟ نعمة الإسلام.

الأوس والخزراج في الأمس القريب وهم يقتل بعضهم بعضاً وهم في رعب وخوف في الطرقات والأزقات والمساكن والسفر والحضر فإذا بهم إخوة متحابين متوادين واجتمعوا على نصره النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(١٤) سورة آل عمران: (١٠٣).

معاصر المؤمنين، روى النسائي في سننه حديث أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها في قصة جعفر والنجاشي وذلك الحوار العظيم الذي بين فيه جعفر محاسن دين الإسلام للنجاشي ووقع ذلك البيان في قلب النجاشي خير موقع. قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أمام النجاشي: ... أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجَوَارِ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمُحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ - قَالَ: فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ - فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أُحِلَّ لَنَا. فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيُرِدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ. فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى

بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ وَرَغَبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَتَيْهَا
الْمَلِكُ. (١٥)

انظر إلى هذه القيم التي دعا إليها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
والتي جاء الإسلام يحملها في طياته يحمل الخير للبشرية جاء وهم يقتل القوي
منهم الضعيف ويأكل القوي منهم الضعيف فنقذهم إلى التراحم وتقوى الله فيما
بينهم وتقوى الله في حرمت بعضهم.

نعم أيها المسلمون، هذا الدين الذي لم يعتز به كثير من المسلمين بين
الأمم. هذا الدين هو دين الله الحق الخالص على مرّ العصور. والله ما كان الدين
لله يوماً اليهودية التي فيها عزيز ابن الله، وما كان الدين لله يوماً النصرانية التي
فيها المسيح ابن الله، ولا كان الدين لله يوماً المجوسية والبوذية والهندوكية وسائر
ملل الكفر. إنما كان الدين الخالص دين الإسلام. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ
الْإِسْلَامُ﴾ (١٦).

(١٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٧٦٦)/صحيح).

(١٦) سورة آل عمران: (١٩).

نوح أول رسول إلى أهل الأرض كان نبيا رسولا مسلما مؤمنا لم يكن يهوديا ولا نصرانيا، يقول كما أخبرنا عنه أنه يقول: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١٧).

وأمرت أن أكون من المسلمين.

وإبراهيم أبو الأنبياء والحنفاء والموحدين، يخبرنا الله عنه أنه كان حنيفا مسلما. ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١٨). ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١٩).

^(١٧) سورة يونس: (٧٢).

^(١٨) سورة آل عمران: (٦٧).

^(١٩) سورة البقرة: (١٣١-١٣٣).

الله أكبر. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢٠).

وهذا يوسف صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكان نبيا مسلما، وكان من أنبياء بني إسرائيل. ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٢١).

وهذا موسى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو أكبر وأعظم أنبياء بني إسرائيل. يخبرنا الله عنه أنه يدعو قومه إلى الإسلام، لا إلى اليهودية ولا إلى النصرانية. يدعوهم إلى الإسلام الصحيح، العبودية الخالصة. ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾^(٢٢). ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾^(٢٣).

^(٢٠) سورة آل عمران: (١٩).

^(٢١) سورة يوسف: (١٠١).

^(٢٢) سورة يونس: (٨٤).

^(٢٣) سورة المائدة: (٤٤).

السحرة الذين آمنوا بموسى وبرب موسى كانوا مسلمين، لم يصيروا بعد ذلك يهوداً ولا نصارى. نعم. ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾^(٢٤). نعم. ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

سليمان صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أنبياء بني إسرائيل، كان نبياً مسلماً وهكذا أبوه. ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(٢٥). وبعد آيات: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾^(٢٦).

ولذلك آمنت ملكة سبأ التي يقال لها بلقيس في أخبار بني إسرائيل، نعم، آمنت برّب سليمان: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢٧).

^(٢٤) سورة الأعراف: (١٢٦).

^(٢٥) سورة النمل: (٣٨).

^(٢٦) سورة النمل: (٤٢).

^(٢٧) سورة النمل: (٤٤).

صارت مسلمة كما كان سليمان مسلماً. نعم، وقد كانت قبل ذلك ﴿مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾^(٢٨)، فلم تهتد إلى خير، فلما جاء الخير الخالص وهو دين الإسلام اعترفت بأنها في الماضي كات ظلمت نفسها، واليوم أسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

وعيسى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أنبياء بني إسرائيل يخبر الله عنه وعن أتباعه من الحواريين أنهم كانوا مسلمين: ﴿وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُّسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٢٩).

اشهد يا عيسى بأنا مسلمون لله رب العالمين، لسنا من المحرّفين ولا منددن ولا مشركين بالله. فما عذر أهل الصليب اليوم الذين ليس لهم دين عتيق ولا دين أصيل وإنما هو تحريف للحنيفية السمحة يعبدون المسيح ويسمونهم ابن الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

^(٢٨) سورة النمل: (٤٣).

^(٢٩) سورة المائدة: (١١١).

معاشر المؤمنين، كان نبيكم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حنيفا مسلما وهو أول المسلمين، استجابة لله ربّه. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣٠).

وأمتكم هذه الأمة المرحومة التي حصل فيها ما حصل من الفتن بسبب ذنوب أهلها هي أمة مرحومة في الجملة ولذلك سماها الله مسلمين. ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣١).

وجاء في مسند أحمد^(٣٢) من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل».

بما سماهم، يعني: أمام الأمم الكافرة اسمنا مسلمون، اسمنا المسلمون أمام اليهود والنصارى وأهل الملل الكافرة كلها، نتميز ونعتزّ بهذا الاسم:

^(٣٠) سورة الأنعام: (١٦٢-١٦٣).

^(٣١) سورة الحج: (٧٨).

^(٣٢) برقم (١٧١٧٠) بسند صحيح.

الإسلام. نعم. فادعوا المسلمين بأسمائهم بما ساءهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله. عزة في الإسلام وأنوف لأهله. ولكن تطلع الناس إلى زهرة أهل الكفر وزيتهم فصاروا يحقرون ما أعطاهم الله. ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَنفِتْنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (٣٣).

رزق ربك خير وأبقى. سائر أنبياء الله مسلمون مؤمنون حنفاء موحدون. جاء في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» (٣٤).

نعم، الشرائع شتى في تفاصيل الأمر: الصلاة والصيام والحج والزكاة، لكن في أصل العقيدة والعبودية الخالصة لله وعدم التنديد والإشراك بالله دينهم

(٣٣) سورة طه: (١٣١).

(٣٤) أخرجه البخاري (٣٤٤٣) ومسلم (٢٣٦٥).

واحد وإن كانت شرائعهم مختلفة، لقول الله عز وجل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾^(٣٥).

وهل لليهود والنصارى في عصرنا هذا أن يقولوا: تبنا إلى الله والإشراك والتنديد والكفر والإلحاد فنكون من الموحدين كالمسلمين ولكن لنا شريعة النصارى واليهود وللمسلمين شريعة محمد؟ هل لهم ذلك؟ لا والله. أبداً لأن النبي عليه الصلاة وسلم نسخ ببعثته سائر الشرائع والملل، نعم. ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣٦).

نعم. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣٧).

قال الله عز وجل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾^(٣٨).

^(٣٥) سورة المائدة: (٤٨).

^(٣٦) سورة النحل: (١٢٣).

^(٣٧) سورة الجاثية: (١٨-١٩).

كيف تفهم هذه الآية؟ قال العلامة ابن كثير رحمه الله في تفسيره: ولكنه تعالى شرع لكل رسول شرعة على حدة، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة، وجعله خاتم الأنبياء كلهم^(٣٩).

أعلمت الآن؟ أنه لا يجوز لأحد أن يدين بدين غير دين الإسلام وغير شريعة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإن وافقنا على التوحيد ووافقنا على العبادة لله لكنه لا يدين بالشرعية المحمدية لا يقبل منه ذلك. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٤٠). ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٤١). ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤٢).

(٣٨) سورة المائدة: (٤٨).

(٣٩) "تفسير القرآن العظيم" (٣/ ص ١٣٠).

(٤٠) سورة الأعراف: (١٥٨).

(٤١) سورة سبأ: (٢٨).

(٤٢) سورة الأنبياء: (١٠٧).

وجاء في البخاري من حديث جابر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:
 «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: -وذكر منها:- وكان النبي يبعث إلى قومه
 خاصة وبعث إلى الناس عامة»^(٤٣).

فلا عذر لأحد يهودي أو نصاري أن يدين بدين غير دين محمد وأن يعمل
 بشريعة غير شريعة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول
 الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي
 أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا
 كان من أصحاب النار»^(٤٤).

اسمع إلى هذه الأدلة، تعلم دينك وعقيدتك، وإياك والثقافة المعكوسة
 التي تسمعها اليوم من بعض الجهال وأنصاف المتعلمين الذين يدندنون بقول الله

^(٤٣) أخرجه البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١)، وتماه: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب
 مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيا رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي
 المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة».

^(٤٤) أخرجه مسلم (١٥٣).

عز وجل غير فاهمين للآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقول بعضهم غير فاهمين لهذه الآية: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٤٥). بل ربما لم يستطع أن يقرأ الآية بقوله: لكم دينكم وليا دين. لجهله بتلاوة الآية وبفهم معناها فإن الله عز وجل أمر نبيه أن يتبرأ من دين المشركين وآلهتهم ولذلك قال: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾^(٤٦).

وقال بعد ذلك: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ على سبيل البراءة من دينهم لا على سبيل النهج الديمقراطي الذي هو إقرار الجميع على ما هم فيه وأنت مصيب وأنا مصي، وأنت على خير وأنا على خير. هذا معتقد باطل وهذا فهم معوج. وأما قول الله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، يشرحه قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٤٧).

^(٤٥) سورة الكافرون: (٦).

^(٤٦) سورة الكافرون: (٢-٣).

^(٤٧) سورة التوبة: (٢٩).

معنى ذلك: إذا رفضوا الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد عرضتم به خيرا وصلاحا ورشدا فأبوا إلا الكفر ودفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون: فهنالك لا إكراه في الدين. وإن ماتوا على هذه الشريعة وعلى هذه الملة اليهودية والنصرانية فهم حطبوا جهنم لا أن تفهم الآية فهما معكوسا منكوسا فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أخبر أن الضلالة يحصل في أمة محمد إذا ما ذهب العلماء الربانيون.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»^(٤٨).

نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا.

^(٤٨) أخرجه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما مزيذا، أما بعد:

معاشر المؤمنين، أخذ الله عز وجل الميثاق من كل نبي ورسول مضى وتقدم أنه إن بعث النبي عليه الصلاة والسلام وهو حي أنه يؤمن به ، نعم. ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤٩).

نعم. فهم أخذ عليهم العهد والميثاق: إن بعث رسول الله وهم أحياء أنهم يأوونه إلى مكانه ويدينون بدينه وينصرونه على ملته شريعته.

هذا عيسى صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وأكثر الدول الصليبية اليوم الحاقدة على الإسلام وأهله التي تستل في الذروة والغالب لأهل الإسلام من

(٤٩) سورة آل عمران: (٨١-٨٢).

الداخل والخارج يؤهلون عيسى ويعظمونه. إن عيسى إذا نزل من السماء، وهذه عقيدة المسلم أن عيسى سينزل من السماء يدين بدين الإسلام ويدعو الناس إلى شريعة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها» . ثم يقول أبو هريرة: واقروا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به من قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾^(٥٠).

إذا كان محمد عليه الصلاة والسلام يقبل الجزية من الناس من باب أنه بعثه الله رحمة للعالمين بما في ذلك الكفار لعلهم يرجعون أنفسهم ويعطون الجزية ويرجعون ساحة الإسلام وهدية وتعاليمه فيسلمون طواعية. فإذا جاء عيسى يضع الجزية لا يقبل من الناس إلا الشريعة المحمدية أو السيف على رقابهم. نعم. ويضع الجزية.

^(٥٠) أخرجه البخاري (٣٤٤٨) ومسلم (١٥٥).

قال العلامة النووي رحمه الله: وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
(حكما) أي ينزل حاكما بهذه الشريعة لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة
بل هو حاكم من حكام هذه الأمة^(٥١).

هكذا. وجاء أيضا في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه،
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم
فيكم، وإمامكم منكم»^(٥٢).

ينزل فينا ابن مريم وإمامنا منا. الذي يهدي الله به القلوب على كلمة
سواء. نعم، إذا كان إمامنا منا فهو إنما جاء للمعونة والتسديد والإعانة على قيام
هذا الشرع المطهر شرع محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ولذلك جاء في مسلم
عن جابر أنه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «لا تزال
طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة» ، قال: «فينزل عيسى

^(٥١) "شرح النووي على مسلم" (٢/ ص ١٩٠).

^(٥٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٩) ومسلم (١٥٥).

ابن مريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»^(٥٣).

نعم. رأيتم أنه يقول حينئذ إنه فرد من أفراد أمة محمد، لا يأتي بشريعة جديدة، ولا يأتي برسالة مستقلة، يأتي حاكماً بهذه الشريعة. فاعتزوا رعاكم الله بهذا الدين الخالص وبهذه الشريعة القويمة التي لما ابتغينا العزة بغيرها أذلنا الله. وهذا ملموس مشاهد. فلذلك هبوا إلى هذا الدين نصرة وتعلماً وتعليماً والإصغاء لهذا الخير في أنفسكم وأهليكم وذويكم فإن العزّ منشود قادم عن شاء الله ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^(٥٤). ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥٥). ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٥٦).

^(٥٣) أخرجه مسلم (١٥٦).

^(٥٤) سورة طه: (١٣٢).

^(٥٥) سورة الأعراف: (١٢٨).

^(٥٦) سورة الأنبياء: (١٠٥).

نعم، ميراث الأرض إن شاء الله لأهل الإسلام مهما طغا اليهود والنصارى وسائر الكفار وأرادوا مكيدة للمسلمين عن طريقة حيل ملتوية، - نعم- وأمور زائفة ولكن الله عز وجل للكفار بالمرصاد. إن هذا الدين موعود بالنصر إن شاء الله فعليكم رعاكم الله أن تستمسكوا بهذا الدين الذي فيه العز والذي فيه القوة والمكانة والاعتصام بالصواب والحق. نعم معاشر المؤمنين. هذا الدين من تمسك به حق تمسك يذوق طعما الإيمان ويذوق حلاوة الإيمان.

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا»^(٥٧).

عن أنس عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»^(٥٨).

اكره أن تعود في الكفر، افرح بأن جعلك الله مسلماً، هنالك تجد حلاوة الإيمان في قلبك وتجد طعمه على لسانك وهذا ينعكس نوراً على بصيرتك

^(٥٧) أخرجه مسلم (٣٤).

^(٥٨) أخرجه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣).

وبصرك، فترى الحق حقاً والباطل باطلا والصواب صواباً والخطأ خطأ. ﴿أَفَمَنْ
شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ (٥٩).

يرى الصواب ويرى الخطأ ويرى المحق ويرى المبطل. نعم. أما من لم
يجعل الله له نوراً، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ
نُورٍ﴾ (٦٠).

إذا أردت السعادة الحقيقية وإن كنت فقيراً، عليلاً في بدنك، وضعياً في
الناس في النسب فعليك بالإسلام الصحيح الصافي. نعم. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ
ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ (٦١).

كيف هذا؟ كيف تكون السعادة للمسلم الحق؟ يجعله الله غير ضال في
الدين ولا شقي في الآخرة. نعم. فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. قال ابن

(٥٩) سورة الزمر: (٢٢).

(٦٠) سورة النور: (٤٠).

(٦١) سورة النحل: (٩٧).

عباس: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة^(٦٢). ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦٣).

لا خوف عليهم فيما يُستقبل من أيامهم ولا هم يحزنون على ما مضى من المعاصي والأحزان. وكل هذا ثواب وحسنات إذا صبروا واحتسبوا. ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

الله أكبر. فبعد هذا يقال لمعشر السابعين: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٦٤).

عباد الله، رجوعاً رجوعاً إلى الإسلام الصحيح على فهم السابقين الصادقين الذين أثنى الله عليهم وكانت العافية في مجتمعهم. جاء في مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه

^(٦٢) سورة الزمر: (٢٢).

^(٦٣) سنده حسن، أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٨ / ٣٨٩) عن ابن عباس، قال: تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى).

^(٦٤) سورة آل عمران: (٨٣).

وعلى آله وسلم: «وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها»^(٦٥).

الرجوع الرجوع إلى فهم السابقين الصادقين الذين اصطفاهم الله سواء كان من الصحابة الأخيار أو من أهل بيته الأبرار. كلهم مرضي عنهم إن شاء الله. فإذا فهمت الكتاب والسنة بفهم السابقين الصادقين أصلح الله حالك وأعاد إليك العزة المنشودة المفقودة يعيدها إليك لا عن طريق التفجيرات والاختطافات والتلغيمات والأحزمة الناشفة، لا ولكن على طريق الهدي المحمد والثبات والاستقامة والتصحيح. نعم، للأفكار الخاطئة المضلة فهناك أبشر بوعده الله. إن قلت: كيف هذا؟ لا عليك من كيف هذا لأن الله وعد بالنصر وأمر بالأخذ بأسبابه، لا تذهب إلى الأسباب المعوجة ولا إلى الأفعال التي حرّمها الشرع والتي أنكرها أهل العلم. عليك بسلوك الجادة وبلاستقامة على فهم السابقين الصادقين، بالقرآن والسنة المطهرة.

عن عبد الله بن مسعود، قال: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه

^(٦٥) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه^(٦٦).

كلمة (الأصحاب) تشمل الآل أيضا لأنهم أصحاب وأقرباء، أقارب وأصحاب. نعم. هذا قول ابن مسعود، نعم.

إذا أردت أن يثبت الله فهمك إذا ما تلوت الكتاب والسنة عليك أن ترجع إلى فهمهم. ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾^(٦٧). نعم.

هذا كله دليل ظاهر في أنه لا مخرج إلا أن نعتصم بالكتاب والسنة ليس على آرائنا ولا على اختياراتنا ولا أذواقنا ولكن على طريقة السابقين الصادقين. ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ يُغْفَرُ لَهُمْ أَسْأَفُ الْوَعْدِ وَالَّذِينَ تَبِعُوا هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

^(٦٦) أثر حسن، أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦٠٠).

^(٦٧) سورة البقرة: (١٣٧).

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٨﴾ .

فحينئذ أبشر بالخير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.